

قراءة تحليلية في المناهج الدراسية الموجهة نحو الأطفال المعوقين سمعياً بالجزائر

فريد بن قسمية¹، سامية شويعل²¹ جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية - الجزائر، faridbenguesmiadz@yahoo.com² جامعة ابوالقاسم سعد الله الجزائر²، Schouialsamia@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2108/11/17 تاريخ القبول: 2019/06/12 تاريخ النشر: 2019/06/30

ملخص:

ظلت والى سنوات طويلة البرامج الدراسية الموجهة نحو فئة الأطفال المعوقين سمعياً مستمدة من برامج أقرانهم من الأطفال العاديين لذلك بات من اليوم أن تكون المناهج الدراسية المقررة والموجهة نحوهم مستجيبة لخصوصية هذا النوع من الفئات الخاصة، وأن تجعل مكتسباتهم على محك التعلم والإدماج بحيث يُمكنه التكيف مع الواقع مهما حدثت به من تغيرات ومستجدات، ضمن هذا السياق جاءت هذه الدراسة كمحاولة لطرح دراسة تحليلية بخصوص هذه المناهج الدراسية المتداولة حالياً في الأوساط التربوية بمدارس الأطفال المعوقين سمعياً.

كلمات مفتاحية: المناهج الدراسية. الأطفال. المعوقين سمعياً

Résumé :

Pendant de nombreuses années, les programmes d'études ont été conçus pour les diplômés du secondaire qui ont été choisis parmi les programmes de leurs pairs issus des cours ordinaires. Aujourd'hui, les programmes conçus et orientés à leur intention tiennent compte de la spécificité de cette catégorie particulière et permettent de rendre leurs expériences d'apprentissage et d'intégration plus faciles à adapter. Quels que soient les changements et les développements, dans ce contexte, cette étude constituait une tentative de présenter une étude analytique du programme d'enseignement actuel dans les milieux éducatifs des écoles pour enfants malentendants.

المؤلف المرسل: فريد بن قسمية، الإيميل: faridbenguesmiadz@yahoo.com

1. مقدمة :

يعد التعليم منظومة غاية في التعقيد سواء بسبب علاقته المتشابكة مع المنظومات الأخرى الخارجة عنه أو بسبب التداخل بين منظوماته وعناصره الفرعية، فهناك منظومات خارج منظومة التعليم ترتبط ارتباطاً مباشراً به كمنظومة الاقتصاد والمنظومة السياسية ومنظومة الإعلام ومنظومة ثقافة المجتمع وقيمه ومعتقداته وغيرها، وكل هذه المنظومات تؤثر في منظومة التعليم وتتأثر بها علاقات تبادلية.

والتعليم بصفة عامة وتعليم الأطفال من ذوي الإعاقة بصفة خاصة كمنظومة، له أيضاً منظوماته الفرعية الداخلية منها منظومة القوى البشرية ومنظومة المنهج ومنظومة المنهجيات فالمتعلم أو الطالب في منظومة القوى البشرية هو محور العملية التعليمية حيث أصبح التعليم في عصر المعلومات وتكنولوجيا التعليم يركز على احتياجات المتعلم الخاصة ومراعاة خلفيته المعرفية وقدراته الشخصية.

لقد أصبحت مهمة تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة ورعايتهم مطلباً وضرورة ملحة تنص عليها المواثيق الدولية والمحلية حيث تكفل حقوق الطفل المعاق في كافة المجالات الصحية والاجتماعية والتعليمية واندماجهم في المجتمع لكي تحقق أكبر قدر ممكن من استثمار إمكانياتهم المعرفية والاجتماعية والانفعالية والمهنية طوال حياتهم ولصالح المجتمع أيضاً.

في هذا الإطار تقوم مدارس الأطفال المعوقين سمعياً في الجزائر بضمان التعليم التحضيري والتعليم الابتدائي وتعتمد في ذلك على تطبيق البرامج التعليمية الرسمية باستعمال المناهج والتقنيات الملائمة مع مراعاة نوع الإعاقة وخصوصيتها، حيث يتابع فيها التلاميذ المعوقين سمعياً برامج التعليم المطبقة في وزارة التربية الوطنية وفق طرائق ووسائل وتقنيات كافية حسب الإعاقة، كما يتولى مفتشو التربية والتعليم الأساسي بالتنسيق مع المفتشين التقنيين البيداغوجيين التابعين للوزارة المكلفة بالتضامن الوطني، متابعة تطبيق برامج التعليم العادي في مدارس الأطفال المعوقين سمعياً. (الجريدة الرسمية، 2012، ص 15)

كما تتكفل مدارس الأطفال المعوقين سمعياً بالطفل المعاق سمعياً، وهذا من خلال ضمان اليقظة وتنمية العلاقة بينه وبين محيطه وكذا دعم إدماجه في الوسط المدرسي العادي و/أو التكوين المهني حتى يتمكن من عملية التكيف مع المحيط وتحقيق الاستقلالية له، ويقوم بعملية التكفل فريق عمل متعدد التخصصات، يعمل بشكل متكامل ضمن إطار تنظيمي محدد للصلاحيات والمسؤوليات.

لابد أن تكون المناهج الدراسية المقررة اليوم مستجيبة لخصوصية هذا النوع من الفئات الخاصة وأن تجعل مكتسباتهم على محك التعلم والإدماج، بحيث يُمكنه التكيف مع الواقع مهما حدثت به من تغيرات ومستجدات، ضمن هذا السياق جاءت هذه الدراسة كمحاولة للإجابة على التساؤلات الرئيسية التالية:

- ما هو نظام تعليم الأطفال المعوقين سمعياً في الجزائر؟

- ما هي طبيعة المناهج الدراسية الموجهة نحو الأطفال المعوقين سمعياً؟

- هل تتلاءم هذه المناهج الدراسية المقررة مع احتياجات الأطفال المعوقين سمعياً؟

- ما هي أسس تخطيط وبناء مناهج الأطفال المعوقين سمعياً؟

2. تعليم الأطفال المعوقين سمعياً في الجزائر:

1.2. نظام التعليم المتخصص بمدارس الأطفال المعوقين سمعياً في الجزائر:

يشمل مصطلح النظام أو النظم الكثير من العناصر المتشابكة والمتراطة فيما بينها في تفاعل مستمر لتحقيق هدف أو مجموعة أهداف مشتركة، لذلك يعرفه "كوفمان" Kaufman ، بأنه المجموع الكلي للأجزاء والعناصر التي تعمل بطريقة مستقلة أو تكاملية لتحقيق النتائج أو المخرجات الموجودة على أساس حاجات ومتطلبات هذا النظام.

ويمكن في هذا السياق أن نضرب مثلاً للنظم بالنظام التعليمي الذي هو مجموعة من الأجزاء والعناصر المرتبطة التي تتفاعل مع بعضها من أجل تحقيق غايات وأهداف معينة، بيد أن هذا النظام بمفهومه الواسع (أي النظام التعليمي العام)، يتكون بدوره من النظم الفرعية الصغيرة مثل التعليم الابتدائي أو الإكمالي أو التعليم الثانوي العام والتقني كما أنّ هذه النظم أيضاً تنقسم إلى نظم أصغر منها وهكذا.

(المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، ب س، ص 10)

1.1.2. مدارس الأطفال المعوقين سمعياً:

تعمل مدارس الأطفال على ضمان التعليم التحضيري والتعليم في المرحلة الابتدائية باستعمال المناهج والتقنيات الملائمة، حيث تدرج ضمن الإطار العام لرعاية الأطفال المعاقين سمعياً الذي رسمته الدولة الجزائرية لكافة شرائح المعاقين الأخرى، وقد إهتم المشرع الجزائري بهذه الفئات خلال سن العديد من المواد التي تتضمن مجانية التعليم وتكافؤ الفرص وإجبارية التعليم الأساسي، وهذا ما جاء في المادة 53 من الدستور، وقانون حماية الأشخاص وترقيتهم المؤرخ في 14 مايو (2002)، حيث ورد فيه أن من أهداف حماية الأشخاص

المعوقين وترقيتهم، ضمان تعليم إجباري وتكوين مهني للأطفال المراهقين المعوقين وجاء في الفصل الثالث منه بعنوان: "التربية والتكوين المهني وإعادة التدريب الوظيفي وإعادة التكييف." حيث تنص المادة الـ 14 من هذا الأخير على ضرورة التكفل المبكر بالأطفال المعوقين وأن يخضعوا إلى التمدرس الإجباري في مؤسسات التعليم والتكوين المهني، التي تهيأ عند الحاجة كما حددت أشكال وطرق تقديم الخدمات التعليمية من خلال المراكز المتخصصة التي تم إنشاؤها بموجب المرسوم رقم 59-80 المؤرخ في 08 مارس (1980) (وزارة التضامن الوطني، 1998، ص 01).

2.2. برامج التكفل بالأطفال المعوقين سمعياً: تحدد الأهداف العملية للتكفل بالأطفال المعوقين سمعياً في النقاط التالية:

- إعادة التربية اللفظية (التنطق المبكر)؛
- الاهتمام بالجانب النفسي لفنق السمع؛
- الإدماج المدرسي المكيف تدريجياً في الوسط العادي بالإضافة إلى مدارس الأطفال المعوقين سمعياً؛
- تشجيع التواصل باستعمال كل الوسائل والطرق الممكنة، والوصول بالمعوق السمعى إلى اكتساب مهارات مهنية تتماشى والتكنولوجيا الحديثة؛
- رفع المستوى الدراسي للمعوق السمعى إلى أقصى درجة ممكنة؛
- تدعيم التحصيل الدراسي.

1.2.2. التعليم التحضيري:

هو مرحلة تربية وتعليم تضم أطفالاً تتراوح أعمارهم الزمنية ما بين 4-5 سنوات، ويتم فيها تنمية المفاهيم والمهارات المختلفة لتحقيق التنمية الشاملة والمتكاملة لكل طفل مع الأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية في القدرات والاستعدادات اللغوية والمستويات النمائية. (بترس، 2000، ص 112)

ويسعى التعليم التحضيري أو ما قبل المدرسة إلى استعمال جوانب نمو الطفل الأصم في مختلف نواحيه الفيزيولوجية والنفسية والحركية والاجتماعية واللغوية...

2.2.2. التعليم الابتدائي:

للتعليم الابتدائي أهمية بارزة في مجتمع اليوم وأنه يقوم بدور تأسيسى للمراحل التعليمية الأخرى وتتعهد فترة عمرية محددة من سن التلميذ، كما أنّ له طابع تربوي يتسم بالشمولية في عنايته بالتلميذ.

كما تجدر الإشارة إلى أن اختصاص المدرسة الابتدائية بهذه المرحلة العمرية على وجه التحديد إنما يستند إلى عامل نفسي مهم، ذلك أنّ الفترة الزمنية من سن السادسة إلى سن الثانية عشر تتميز بخصائص نمو مستقلة عن المراحل السابقة واللاحقة لها، ومن هنا حددت سنوات الدراسة في المدرسة الابتدائية بالسنوات المذكورة.

3.2.2. أهمية المرحلة الابتدائية:

تؤثر المرحلة الابتدائية بشكل فعال على سلوك الفرد وميوله من خلال مسيرة حياته، وتقوم بدور الموجه المباشر في بناء فكر التلميذ وتوجهه من خلال تزويده بأوليات المعرفة وأساسياتها اللازمة، لتمكينه في مستقبل حياته من تحقيق الاندماج المثمر، والبناء في مجتمعه وبيئته التي ينتمي إليها.

ولا تقتصر أهمية المرحلة الابتدائية على الجانب التربوي والتعليمي فحسب، بل تتعدى ذلك لتشمل جوانب صحية ونفسية مختلفة، سيما إذا كان الحديث عن فئة الأطفال المعوقين الذين لديهم نقصا في حاسة ما كالسمع خصوصا، بحيث يرى المهتمون بالدراسات النفسية أنّ السنوات الأولى من حياة الطفل المعاق مهمة بالنسبة لحياته في المستقبل، وأنّ كثيراً من المتاعب والأمراض البدنية والعقلية أو الحسية التي يعاني منها الإنسان تعود أصولها عادة إلى سنوات تربيتهم الأولى، وأنّ الرعاية الصحية كتدخل مبكر والتوجيه المناسب في هذه الفترة يقللان من هذه المتاعب، وتلك الأمراض. (إبراهيم، 1994، ص 172)

3. طبيعة المناهج الدراسية الموجهة نحو الأطفال المعوقين سمعياً:

ومن الثابت أيضاً في الأوساط التربوية والتعليمية أنّ وجود مناهج جيّدة لا يكفي لتحقيق العملية التعليمية ما لم يتوفر لها المعلم الجيّد القادر على تنفيذ وتحقيق الأهداف المنوطة بها، فالمعلم الجيّد يُصلح عيوب المنهج الرديء، ولكنّ المنهج الجيّد لا يستطيع أن يحقق الهدف في يد معلم فاشل.

ولكن مع ذلك فإنّ قيام معلم التعليم المتخصص بتدريس محتوى غير ملائم لحاجات وميول واهتمامات وقدرات التلميذ الأصم، يبقى من المشكلات التي تشكل عبئاً كبيراً عليه... ناهيك على أنّه قد يتلقى أثناء التكوين مواضيع لا تتفق مع متطلبات ممارساته اليومية، تضاف إلى الأعباء الأخرى التي يواجهها أثناء تعامله اليومي مع التلميذ الأصم.

في الحقيقة أنّ المعلم هو القادر على مساعدة التلاميذ في إنجاز أهداف المنهج ممّا يعني أنّه مطالب ببذل الجهد في تعليم الأبناء من خلال تنفيذ منهج ما، وفي هذه الحالة لا بدّ من القول بأنّ المحتوى يكون

قد تم اختياره في ضوء عوامل خاصة بفئة الأطفال المعوقين سمعياً، وليس من المعقول أن المحتوى يكون قد تم اختياره في ضوء معايير خاصة بالتلاميذ العاديين، وتصور أنه يلاءم كل التلاميذ بما فيهم الصم، أو غيرهم من تلاميذ الفئات الخاصة.

وبناء على ذلك يمكن القول أنه من ناحية توافر مناهج الأطفال المعوقين سمعياً فهي متوفرة ولكنها في حقيقة الأمر تعد موضع نقد شديد، وذلك على الرغم من وجود أهداف ومضامين لها، فضلاً عن توصيف طرق التدريس والوسائل العلمية والأنشطة والتقويم، ولكن الأمر الجوهرى هو أن هذا كله يعتمد على الخبرات والتقاليد المتوارثة والمأخوذ بها في تعليم العاديين، وهذا هو مكنم الخطورة والعامل الحاسم الذي يعد مسؤولاً عن معظم السلبيات أو أوجه النقد التي توجه إلى مناهج تعليم الأطفال المعوقين سمعياً في الوقت الحالى.

ولقد استقر في العقل والوجدان أن ما يصلح لتلميذ قد لا يصلح لتلميذ آخر من العاديين، فكيف يكون الأمر بالنسبة لفئة من التلاميذ يختلفون كل الاختلاف عن زملائهم من العاديين، إذن فالأمر في حاجة إلى رؤية فكرية واضحة ومغايرة لتلك التي توجه العمل في تخطيط مناهج العاديين وإذا نجحنا في هذا الأمر نكون قد وقفنا عند بداية الطريق الصحيح، الأمر الذي يستتبعه تحديد الأهداف والمضامين وطرق التدريس والوسائل التعليمية والأنشطة وأساليب التقويم بشكل علمي قائم على الفهم الكامل لهذه الفئة من حيث طبيعتها وحاجاتها.

ولعل هذا ما يشير إلى أنه مع كل التقدير للجهد المبذول في مجال مناهج الصم فإن الأمر في حاجة إلى مراجعة وتطوير شامل من أجل مناهج أفضل للصم تكون أكثر ارتباطاً بحياتهم وحياة المجتمع وظروفهم وإمكاناتهم وآمالهم وتطلعاتهم.

ولاشك أن أمر المناهج الحالية وتطويرها لا ينبغي أن يعتمد على آراء ومقترحات عارضة وعفوية أو ربما بدون تصورات غير واقعية، ومن هنا لعلنا نستطيع أن نؤكد على أن الحاجة إلى تطوير شامل وهذا التطوير لا بد أن يسبقه تقويم موضوعي للمناهج الحالية، ذلك أنه لا ينبغي رفضها كلية وبدون سند من العلم، وإذا كان لنا أن نُقوّم تلك المناهج فلا بد أن يكون ذلك من خلال كل من لهم علاقة بتلك المناهج سواء على المستوى التخطيطي أو على المستوى التنفيذي، وهذا يعني أن المتعلم الأصم، هو البداية بمعنى أننا لا بد أن نعرف آرائه فيما هو قائم وأوجه النقد التي يوجهها إليه وتصوره للتطوير ويرتبط بهذا معرفة حاجاته، والطرف الثاني في هذه المسألة هو المعلم وأولياء الأمور، فالمعلم يتفاعل مع الأصم لوقت طويل، كما أن بقية

اليوم يقضيه الأصم مع أولياء الأمور، ولذلك فهم أكثر دراية بما يحتاجه الأصم وما يفضله وما يرفضه ، وهناك أيضا الموجه الفني وخبير التقويم والخبير النفسي، وخبير المناهج والوسائل التعليمية، وهناك أيضا أصحاب الأعمال والمهن التي يلتحق بها الصم عادة بعد اجتياز مرحلة تعليمية معينة، فهم يعرفون حاجات قطاعات العمل من المعارف والمهارات الأساسية اللازمة والتي يجب أن تكون موضع اهتمام مقصود من جانب من يتصدون لعملية تطوير مناهج الصم، ومن هنا يمكن أن نرصد ونحلل ونفسر كل الأوضاع الراهنة وكذلك نواتج التعليم حتى تكون عملية التطوير واضحة المعالم بحيث تسير في مسارات علمية وجادة .

4. مواءمة المناهج الدراسية المقررة مع احتياجات الأطفال المعوقين سمعيا:

قد يعتقد البعض أنّ أي قراءة تتطلب إعادة النظر في طبيعة البرامج الموجهة إلى الأطفال المعوقين سمعيا يعد عيباً ؛ لكنّ هذا في حقيقة الحال يمثل ظاهرة صحية يفترض أن تتكرر من حين إلى آخر، لإعادة النظر في طبيعة البرامج التي توجه إليهم مقارنة مع أقرانهم العاديين، وهذا مساندة للتطورات الحديثة خاصة الوسائل التكنولوجية، بالتالي فإنّ دراسة الواقع الحالي للمناهج الموجهة لفئة الأطفال المعوقين سمعيا والمشكلات التي تواجه تنفيذ تلك المناهج يعتبر من المنطلقات الرئيسية التي ينبغي الاعتماد عليها عند القيام بتخطيط وبناء وتنفيذ مناهج المعوقين سمعيا، فمن خلال دراسة هذا الواقع نستطيع أن نضع أيدينا على نقاط القوة والضعف ومعرفة أوجه القصور المختلفة التي تقف عقبة في سبيل تربية الطفل المعوق سمعيا على نحو أفضل، ولذلك فإنّ على من يتولى مهمة تخطيط وتنفيذ مناهج المعوقين سمعيا أن يكون على دراية كاملة للواقع التربوي الخاص بتربيتهم ، بما يضم من مناهج وطرق تدريس وطرق اتصال وطبيعة المناخ المدرسي السائد في مدارس الأطفال المعوقين سمعيا بالإضافة إلى نوعية المعلمين الذين يتولون حالياً عملية تدريس الأطفال المعوقين سمعيا ومدى تمكنهم من الكفايات اللازمة التي تؤهلهم لتولي مسؤولية تدريس الأطفال المعوقين سمعيا. كما أنّ يجب الأخذ في الحسبان طبيعة المشكلات التي تواجه معلمي التعليم المتخصص لفئة الأطفال المعوقين سمعيا على اعتبار أنّه منفذ للمنهج ، وهو الذي يتعامل مباشرة مع التلاميذ المعوقين سمعيا ، ويعرف أكثر من غيره مدى ملائمة المادة العلمية التي تدرس لهم ، ومدى سهولتها أو صعوبتها وغير ذلك من الأمور التي قد تكشف لنا عن بعض الصعوبات التي تواجه تنفيذ المنهج لكي يتم وضعها في الاعتبار عند تخطيط وتنفيذ المنهج ، وهو الأمر الذي يجعلنا مطمئنين على أنّ بناء مناهج المعوقين سمعيا يسير وفقا لخطوات علمية مدروسة بعيداً عن التخبط والارتجال.

ولكن إذا نظرنا للواقع الحالي للمناهج الموجهة نحو فئة الأطفال المعوقين سمعياً في الجزائر فإننا نستطيع القول، أنه ليس هناك مناهج للتلاميذ المعوقين سمعياً بالمعنى المتعارف عليه ، لمفهوم كلمة منهج من حيث مكوناته وعناصره المختلفة بدءاً من الأهداف وانتهاءً بالتقويم فأياً كان نوعه لا بد أن يكون انعكاساً لفلسفة واضحة المعالم تعبر عن أفكار واتجاهات وآمال وأهداف المجتمع من وراء تربية أبنائه وهو ما لا يتوافر بالنسبة لمناهج الصم، الأمر الذي تمخض عنه حدوث مشكلات عديدة في مجال تعليم المعوقين سمعياً وهي المشكلات التي إذا أضيفت للمشكلات التي تتعلق بالإعاقة السمعية فإنها قد تمثل عائقاً قد يصعب تجاوزه في حالة عدم معالجته لتلك المشكلات والتحديات التي تنعكس بدورها على نواتج عملية التعليم والتعلم ، وعلى الأهداف التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها من وراء تربية التلاميذ الصم والتي تؤثر أيضاً على أداء المعلم التدريسي، ولكي نقرب من الواقع الحالي لمناهج الصم في الجزائر لا بد أن نتناول بشيء من التفصيل لهذا الواقع لنتم تحليله ورصده عن قرب ونستهل رصدنا لهذا الواقع بمعرف طبيعة الأهداف الحالية للمناهج الموجهة نحو فئة الأطفال المعوقين سمعياً.

وإذا استعرضنا أهداف المناهج الخاصة بالأطفال المعوقين سمعياً لمعرفة مدى مواءمتها لطبيعة التلميذ الأصم واحتياجاته ومع طبيعة المادة الدراسية وطبيعة المجتمع والاتجاهات العالمية نجد أنها تعد أهدافاً مقبولة من حيث المبدأ لأن صياغتها تراعي تلك الجوانب السابقة ، كما تشير تلك الأهداف إلى ضرورة تنمية مهارات الاتصال واللغة لدى الأصم وربطه بالبيئة من حوله للعمل على تكيفه مع المجتمع وإعطائه الثقة بنفسه وبقدراته المختلفة، وتشجيعه على ممارسة العمل اليدوي ولكن تلك الأهداف تكاد تنفصل على محتوى المناهج التي تدرس للصم فالأهداف المعلنة شيء والمحتوى الذي يدرس لهم شيء آخر بمعنى أنّ أهداف مناهج التلاميذ الصم تسير في اتجاه والمحتوى يسير في اتجاه مغاير تماماً فهي أهداف تضم عبارات بليغة رنانة منمقة جيدة الصياغة، ولكنها لم تترجم في شكل محتوى مناسب يتماشى مع تلك الأهداف وهو ما يؤثر بدوره بالسلب على طرق التدريس والوسائل والأنشطة وأساليب التقويم لأنّ جميع عناصر المنهج عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات كل عنصر يؤثر ويتأثر بالعناصر الأخرى.

وفي ما يتعلق بالمحتوى الحالي لمناهج التلاميذ الصم، كان من المتوقع أن تترجم الأهداف التي تمت صياغتها بشكل جيّد إلى محتوى مناسب، يساعد على تحقيق تلك الأهداف لكن ما يتوقع شيء والواقع شيء آخر، فالمحتوى الذي يدرسه الأطفال المعوقين سمعياً هو نفس المحتوى الذي يدرسه التلميذ العادي الذي يقل عمره عن التلميذ الأصم بحوالي ثلاث سنوات على اعتبار أنّ بعض الدراسات قد أشارت إلى أنّ

مستوى التحصيل لدى التلميذ الأصم يقل بصفة عامة عن مستوى التحصيل لدى التلميذ العادي بحوالي ثلاث سنوات، لكن لا بد أن ننتبه إلى أن تلك النتائج لا ينبغي أن نأخذها باعتبارها أمراً مسلماً به فهي قابلة للمناقشة خاصة إذا عرفنا أن الاختبارات والمقاييس المختلفة التي تقيس النمو المعرفي لدى الأصم، تعترضها صعوبات كثيرة نظراً لاعتمادها بصورة كبيرة على القدرة اللفظية التي يفتقدها الأصم لذلك ينبغي أن ننظر إلى نتائج تلك الدراسات بنوع من الحيطة والحذر، خاصة وأن هناك بعض الدراسات كدراسة " كالتسونس" Kaltsounus (1970)، التي أوضحت نتائجها أن التلاميذ الصم قد تفوقوا على التلاميذ العاديين في القدرة على التفكير الإبداعي، وكانت المقارنة تشمل الطلاقة والمرونة والأصالة ودراسة "مورفي" Murphy (1974)، والتي أظهرت قدرة التلاميذ الصم على التفكير الإبداعي من خلال استخدام كاميرات الفيديو، وعلى ذلك فالتلاميذ الصم قادرون على الإبداع، عندما نتبع معهم المداخل والطرق والاستراتيجيات المناسبة التي تساعدنا على كشف هذا الإبداع الكامن لديهم.

وإذا سلمنا جدلاً بأن مستوى التحصيل لدى الأطفال المعوقين سمعياً يقل عن مستوى التحصيل لدى التلميذ العادي، فإن هذا ليس مبرراً على الإطلاق لكي نقوم بتدريس محتوى العاديين للأطفال المعوقين سمعياً نظراً لاختلاف كل منهما، لذلك فإن دراسة الأطفال المعوقين سمعياً لمحتوى مناهج التلاميذ العاديين يؤدي إلى حدوث بعض المشكلات التي يمكن عرضاً فيما يلي:

-شعور التلميذ المعوق سمعياً بالضيق والاستياء والإحباط الشديد عندما يتسلم الكتب الدراسية في أول العام الدراسي ويجد أنها كتب للتلاميذ العاديين الأقل منه بثلاث أو أربع سنوات، وهو ما قد يؤدي إلى تعميق الشعور بالدونية والنقص عن أقرانهم العاديين وتزداد المشكلة سوءاً في حالة وجود أخ أو أخت للتلميذ المعوق سمعياً من العاديين ويقولون عنه في السن ويجد أنهم يدرسون نفس المحتوى مما يعطي أخوته الفرصة للنقد والتلويح بأنه أقل منهم من حيث القدرات الأمر الذي يؤدي إلى كراهية الطفل المعوق سمعياً للتعليم لذلك يلاحظ أن معظم التلاميذ الصم يحتفظون بالكتب الدراسية داخل حجرة الدراسة ويحجلون من حملها إلى المنزل.

-عدم ملائمة صياغة محتوى الكتب الدراسية مع مهارات القراءة لدى الأطفال المعوقين سمعياً لأن عملية صياغة محتوى مناهج التلاميذ الصم لا بد أن تختلف عن صياغتها لكتب التلاميذ العاديين من حيث طول وقصر الجملة واختيار الألفاظ السهلة التي لها مقابل في لغة الإشارة بالإضافة إلى طريقة تنظيم وطباعة الكتاب

المدرسي ومدى تدعيمه بالصور الملونة، وغيرها من الأمور التي لا بد من مراعاتها بحيث يتلاءم مع قدرات التلاميذ الصم.

-زيادة العبء على معلم التعليم المتخصص لفئة الأطفال المعوقين سمعياً الذي ينبغي محتوى المنهج بشكل جيد لكي يستخرج الأفكار الأساسية لمحتوى الدرس ويصيغها بأسلوب سهل معه توصيلها إلى الطفل المعوق سمعياً، وفي نفس الوقت يقوم باستبعاد الأفكار التي قد يصعب على المعوق سمعياً فهمها ولكن عملية إعادة الصياغة وتبسيط الأفكار المتضمنة يحتاج إلى مهارات خاصة، قد لا تتوفر لدى جميع معلمي الصم حيث قد يهتم المعلم بإبراز جانب دون آخر وتأتي الصورة العامة للمحتوى مبتورة غير كاملة ومشوهة، ممّا قد يصعب على التلميذ الأصم فهمها، ومن ناحية أخرى كثيراً ما يصادف معلمي التعليم المتخصص لفئة الأطفال المعوقين سمعياً بعض الموضوعات التي يصعب معالجتها بشكل مبسط وتدريسها للتلاميذ الصم؛ ويقف أمامها مكتوف الأيدي وفي حيرة من أمره وعلى نقيض من ذلك قد يصادف بعض موضوعات في المحتوى تكون أقل بكثير من المستوى العقلي للطفل المعوق سمعياً مما يجعله ينصرف عنها لأنها لم تتحدى تفكيرهم.

5. أسس تخطيط وبناء مناهج الأطفال المعوقين سمعياً:

إنّ أسس تخطيط وبناء مناهج الأطفال المعوقين سمعياً، لا تختلف في قليل أو كثير عن أسس تخطيط وبناء مناهج التلاميذ العاديين، فمناهج التلاميذ الصم شأنها شأن أي منهج لا بد أن يتم وضعها في ضوء فلسفة المجتمع وطبيعة وأهدافه من وراء عملية التربية، وفي ضوء طبيعة التلميذ الأصم وطبيعة المعرفة والاتجاهات العالمية، وعملية بناء المنهج ليست عشوائية، ولكنها عملية مخططة ومدروسة تتم لأسس وقواعد علمية متعارف عليها بين المشتغلين ببناء المنهاج.

1.5. المنطلقات الفكرية في تربية الأطفال المعوقين سمعياً : إنّ نقطة البداية في تخطيط وبناء مناهج

الصم هي وجود فلسفة واضحة المعالم خاصة بهذه الفئة، أو على الأقل ملامح فكر يوجه كافة العمليات التخطيطية والتنفيذية والخاصة بمناهج هذه الفئة، والتساؤل الذي يثور دائماً في هذا المجال هو من أين هذه الفلسفة وما مصادر تكوين هذا الفكر؟

إنّ لكل مجتمع تاريخه وثقافته وتراكماته الخيرية عبر أجيال سابقة، كما أن كل مجتمع له رؤيته الخاصة لهذه الفئة ومكانتها في المجتمع وما يمكن أن نقوم به من ادوار في الحياة الراهنة وكذلك في المستقبل، ويرتبط بهذا الأمر درجة الإيمان بالقوى الكامنة لدى الأبناء من هذه الفئة وقدرتهم على العطاء والمشاركة، إنّ هذه

النظرة أو الفلسفة تعتمد في تشكيلها على مدى تقدير المجتمع لخبرات الآخرين وفهم طبيعة وظروف وحاجات هذه الفئة، وما يمكن أن يوجد من اختلافات في مناهج هذه الفئة في متخلف دول العالم وخاصة المتقدمة، ومدى الاستعداد للاستفادة منها دون خوف أو تردد والاختيار وفق المعايير الخاصة التي تحكم حركة المجتمع وتصوره لما يمكن أن يقوم به كل الأبناء بغض النظر عن نواحي القصور في حواسهم.

2.5. طبيعة المجتمع ونظرته إلى الأطفال المعوقين سمعياً: من الأسس الرئيسية لتخطيط وبناء مناهج التلاميذ الصم، معرفة القائمين على وضع تلك المناهج، طبيعة المجتمع وفلسفته وأهدافه وآماله من وراء تربية الأصم، فلكي يتم بناء مناهج التلاميذ الصم على أسس علمية سليمة، لا بد من مراعاة طبيعة الفكر الاجتماعي السائد، لتحويل هذا الفكر إلى واقع ملموس، يعكس قيم واتجاهات وعادات وتقاليد اجتماعية لا غنى عنها بالنسبة للتلميذ الأصم.

وعلى ذلك فإن على المجتمع أن يحدد الأهداف الرئيسية من وراء تربية التلميذ الأصم، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما طبيعة التلميذ الأصم؟

- وما لهدف من تربيته؟

- كيف يمكن تربيته؟

3.5. طبيعة الطفل المعوق سمعياً وبناء المنهج: إن على الذين يتصدون لتخطيط وبناء مناهج التلاميذ الصم، أن يكونوا على معرفة كاملة بطبيعة التلميذ الأصم، من حيث قدراته، وإمكاناته وميوله واهتماماته واتجاهاته، وكذلك طبيعة نموه العقلي والاجتماعي والانفعالي ورصيده من الخبرات السابقة، وهذا يتطلب بالضرورة الاطلاع على البحوث والدراسات التي تناولت جوانب النمو المختلفة التي يمر بها الأصم ومدى تأثير الصمم، على طبيعة العمليات العقلية لديه، وذلك لأن معرفة المخطط والمنفذين لمناهج الصم بتلك الجوانب المختلفة ستجعلهم يضعون أيديهم على مفتاح شخصية الأصم، بما يمكنهم من الاقتراب والدخول إلى عالم الصم، لمعرفة أفضل العوامل والظروف والطرق التي يمكن أن تيسر عملية التعلم ليتخرج كل ذلك في صورة مناهج تتلاءم مع طبيعة الأصم. (اللقاني، والقرشي، 1999، ص 98)

ومنه يمكن أن نستعرض بعض الجوانب التي توضح خصائص الأصم من حيث قدراته العقلية ونموه الاجتماعي والانفعالي كما يلي:

1.3.5. أثر الإعاقة السمعية على النمو المعرفي: إنّ أهم شيء نذكره بخصوص الأطفال الصم، أو ضعيفي السمع هو أنّ غالبيتهم لديهم ذكاء عادي، فهم غير شاذين في قدرتهم المعرفية، لكنهم أطفال لا يستطيعون السماع مثل الأطفال طبيعى السمع، .. ما تؤثر الإعاقة السمعية فيه في هذا المجال بعض الخصائص والعمليات العقلية الأساسية مثل التفكير والانتباه والإدراك ، والتذكر... الغ والتي يجب أخذها أيضاً في الحسبان عند بناء المناهج الخاصة بالتلاميذ الصم حيث يمكن التطرق إلى البعض منها كما يلي:

أ. **مفهوم الزمن:** تعتبر قدرة الفرد على استيعاب فكرة تطور أو تسلسل الزمن من الأمور المهمة والضرورية لمعرفة وفهم الخبرات والتجارب الإنسانية السابقة، ليس هذا فحسب، ولكنّها تساعده على التخطيط للمستقبل، ولذلك يلعب التوجيه الزمني دوراً مهماً وأساسياً في حياة الفرد وفي تعليمه وفي اتصاله بالآخرين داخل المجتمع، ويلعب مفهوم الزمن دوراً محورياً في حياتنا وخاصة في أبعادها الفلسفية والعلمية والاجتماعية، وقد استدعى مفهوم الزمن لدى الصم اهتمام رجال التربية وعلم النفس، نتيجة الملاحظات المتكررة بوجود صعوبة تعترض التلاميذ الصم في معرفة وفهم الموضوعات التي تتعلق بالمنشأة والتطور، لذلك فقد اعترض البعض أنّ فقدان حاسة السمع وما يترتب عليها من تأخر النمو المعرفي وقصور اللغة لدى التلاميذ الصم، له تأثير سلبي على إدراك مفهوم الزمن لدى الصم، وللتعرف على الأسس الفسيولوجية التي تكمن وراء إدراك الإنسان للزمن، فقد حاول "هوجلاند" Hoagland ، في نظريته الوقت النابض أو الساعة الداخلية (1933) ، تفسير ذلك في ضوء الفرض الخاص بوجود آلية معينة داخل الإنسان هي التي تساعده على إدراك مفهوم الزمن، وهناك أيضاً ما يعرف بمبدأ تخزين المعلومات أو النظرية المعرفية، والتي ترى أنّ عملية تقدير الزمن تعتمد على الأرقام وعلى طبيعة الأحداث الداخلية، من خلال الفواصل الزمنية المختلفة.

وإذا افترضنا جدلاً صحة نظرية الوقت النابض فلن يكون هناك فرق في إدراك الزمن بين كل من العاديين والصم، ولكن إذا تبين أن للجهاز السمعي دور مهم في تقدير الزمن، عندئذ قد يكون إدراك الأصم للزمن مختلف عن العاديين.

وفي ضوء فقدان حاسة السمع لدى الصم، فمن الطبيعي أن نتساءل: هل يستوعب الصم للكلمة أو الجوانب المتعلقة بالكلمة كظاهرة كلامية بطريقة مختلفة عن العاديين؟

والواقع أن نتائج الدراسات الخاصة بالقدرات الإدراكية لدى الصم، والتي حاولت الإجابة عن هذا السؤال، نتائج متضاربة، حيث توجد أبحاث تؤيد نجاح الصم في استيعاب الكلمة كظاهرة كلامية وأبحاث أخرى تعبر عن فشلهم، ونستطيع القول إن هناك احتمال كبير لحدوث فجوات في تطور إحساس الأصم

بالمدى الزمني، وذلك في ضوء طبيعة بيئته الاجتماعية ومستوى تعليمه بالإضافة إلى عامل الخبرة وعمره الزمني.

وفي ضوء نتائج الدراسات الخاصة بتحديد العلاقة بين الصمم والتنظيم الزمني، والتي أوضحت وجود علاقة ضعيفة بينهما، فإن ذلك يفسر عدم تذكر الأطفال الصم للمفردات المتتابعة، والذي يرجع في الأساس إلى أن المعلومات السمعية، تعتبر معلومات زمنية وعلى ذلك فإن الطفل الأصم الذي يفتقد للغة الشفهية، سوف يعتمد على التخيل أو التصور، والذي يعتبر غير كاف لمعرفة وفهم المعلومات المتتابعة.

ب. اكتساب المفاهيم عند الصم: أوضحت الدراسات أن التلاميذ الصم يكتسبون المفاهيم بنفس التسلسل وبنفس الطريقة التي تتبع مع التلاميذ العاديين، ولكن اكتساب الصم للمفاهيم المختلفة يتم في أعمار زمنية أكبر من أعمار العاديين، كما يلاحظ أن التلاميذ الصم يواجهون بعض الصعوبات المتعلقة باكتساب المفاهيم المتناقضة، وأهم يتأخرون إلى حد ما في اكتساب المفاهيم المتشابهة، وأن قيام التلاميذ الصم بعملية دمج بعض المفاهيم مع بعضها من أجل التوصل إلى حل بعض المشكلات يبدو أكثر صعوبة بعكس التلاميذ العاديين.

ت. القراءة والكتابة: يستهدف المنهج الدراسي في هذا المجال العمل على تهيئة الطفل لعملية القراءة والكتابة من خلال التدريب الحركي والسمعي والبصري، لتحسين مهارات التوافق الحركي والاستماع والتمييز البصري بين الأشكال وتدريبه على صحة النطق والكلام السليم، كما يستهدف المنهج تنمية المحصول اللغوي باكتساب مفردات لفظية جديدة من خلال المحادثات الشفهية، وحفظ النصوص والأناشيد والقراءة الجهرية والعمل على تمكين الطفل من استخدام حصيلته اللغوية في التعبير عن نفسه لاسيما في الموضوعات المتصلة بخبراته ومشاهداته في الحياة اليومية. (القريطي، 1996، ص.ص. 121-122)

وهذا استنادا إلى "منهاج التعليم من خلال الخبرة" لصاحبه "ديوي" Dewey، القائم على فكرة تعليم الطفل من خلال خبرته اليومية، مما قد يتطلب جهدا كبيرا يقع على المعلم والمتعلم على حد سواء وبالتالي يجب أن يترك للتلاميذ الصم بضع دقائق للراحة خاصة التلاميذ المتحمقين للمرحلة الأولى من التعليم وذلك لكي يمنحهم الفرصة لتحديد نشاطهم وتبديد الملل وإعطائهم فرصة للراحة، ليمكنوا مرة أخرى من متابعة شرح المعلم وتلك الدقائق مهمة لإراحة عيون الأطفال المعوقين سمعيا لأنه على المعلم أن يتذكر قراءة الكلام وقراءة إشارات وهجاء الأصابع تتطلب قدراً كبيراً من المجهود والتركيز الذهني والبصري وذلك لأن

على الأطفال المعوقين سمعياً أن يركزوا بصورة مستمرة على وجه المتحدث وعلى حركة أصابعه وإذا تحدث تلميذ آخر فعلى بقية التلاميذ الالتفات إليه ثم الالتفات مرة أخرى إلى المعلم وهذا معظم وقت الحصة بالإضافة إلى أنّ فقدان التلميذ الأصم لكلمة أو جملة من المحادثة كفيلة بتشويه مضمون المحادثة ككل وهو أمر وارد لأنه كيف يمكن أنّ نتصور أن يستقبل التلميذ الأصم من خلال حاسة البصر عملية عقلية تتطلب الفهم والتركيز ولا يفشل في استقبال بعض الكلمات لسبب من الأسباب كأن يقوم بإغماض عينيه ويشرد ذهنه للحظة! فهذا أمر طبيعي بالنسبة للأطفال المعوقين سمعياً وللمعلم على حد سواء لأن عليه هو الآخر أن يستقبل المعلومات من تلاميذه بصرياً لذلك التدريس للتلاميذ الصم يتطلب معلماً له مواصفات خاصة نظراً لأنّ هناك ضريبة جسمية واستنزاف لطاقات العقل يتعرض لها المعلم والتلاميذ الصم أيضاً ولذلك ينبغي أن يقوم المعلم بتدريس الدروس التي تتطلب قدراً كبيراً من المجهود الذهني والبصري في الحصص الأولى من الصباح عندما يكون التلميذ الصم في حالة تهيأ ونشاط عقلي بعكس فترة ما بعد الظهر، وبالنسبة لعملية القراءة والكتابة عند الطفل الأصم فإنّها تمثل عنده نوعين من اللغة ويمكن شرحهما كالآتي:

ث. اللغة المكتوبة لدى الصم: إنّ الصم يؤثر على اللغة المكتوبة لدى الصم، لذلك فإنّ طبيعة اللغة المكتوبة لدى الصم كانت موضوعاً للعديد من الدراسات قامت بتحليل كتابات التلاميذ الصم، من حيث طبيعة تلك الكتابات، وعدد الأخطاء التي يقعون فيها أثناء الكتابة، وقد أوضحت نتائج تلك الدراسات ما يلي:

- أنّ الجمل التي يكتبها التلميذ الأصم، أقصر من الجمل التي يكتبها التلميذ العادي.
- التلميذ الأصم لا يستخدم جملاً كثيرة في الكتابة.
- بناء الأصم للجمل بسيط وغير مركب.
- التركيبات اللغوية المكتوبة لدى التلاميذ الصم مفككة وغير مترابطة المعنى ومحدودة.
- التلميذ الأصم لا يلتزم عند ترتيبه لكلمات الجملة، بالقواعد النحوية، ويتوقف ترتيبه لها على تسلسلها في ذهنه كلفة إشارة.

- التلميذ الأصم يقع في الكثير من الأخطاء عند الكتابة، والتي تتمثل في عدم وضع النقط على أو تحت الحروف أو كتابة جزء من الكلمة في سطر والجزء الآخر في السطر التالي.

ج. اللغة المقروءة لدى الصم: هناك العديد من الدراسات ووجهات النظر التي ترسم صورة كئيبة فيما يتعلق بمهارات القراءة لدى التلاميذ الصم، حيث تتأثر مهارة القراءة بدرجة كبيرة بوجود الإعاقة السمعية،

نظرا لاعتماد عملية القراءة على النمو اللغوي ومن هذه الدراسات، دراسة "رايد ستون" وزملائه (1963)، ودراسة "فيرنون ووليمز" (1970)، وقد أوضحت نتائج تلك الدراسات 30 % منهم كانوا أميين.

وتلك النتائج توضح مدى انخفاض مستوى القراءة لدى التلاميذ الصم، الذين يجدون صعوبة في تحويل الرموز المرئية للكلمات المكتوبة إلى أصوات بعكس التلميذ العادي الذي يحول الرموز المرئية للكلمات إلى أصوات ويقوم في نفس الوقت بإيجاد نوع العلاقة التي تربط بين الكلمات بعضها البعض ليخرج في النهاية بتصور عقلي معين عن معنى الكلمة وذلك في إطار الجملة، ومعنى الجملة في إطار الفقرة ومعنى الفقرة في إطار الفكرة العامة للموضوع، وهو ما يفتقده التلميذ الأصم الذي غالبا ما ينظر إلى الكلمات المكتوبة على أنها رموز مرئية، وأحيانا ينجح في التعرف على معناها، عندما يتذكر الإشارة الدالة عليها، ومن خلال معرفته بتلك الكلمات القليلة والمتفرقة في النصوص المكتوبة، قد يستطيع أن يستنتج مضمون الفكرة الرئيسية التي يدور حولها النص.

2.3.5. أثر الإعاقة السمعية على النمو الاجتماعي والانفعالي: تعتبر اللغة وسيلة مهمة من وسائل النمو العقلي والانفعالي، ومن الوسائل الهامة في الاتصال الاجتماعي، والمهني لذلك يعتمد النمو الاجتماعي والمهني على اللغة، فهي الوسيلة الأولى في الاتصال الاجتماعي، وبالتالي نجد أن المعاقون سمعيا يعانون من مشاكل تكيفيه في نموهم الاجتماعي، بسبب نقص قدراتهم اللغوية وصعوبة التعبير عن أنفسهم وفهم الآخرين، سواء كان ذلك داخل الأسرة أو في المدرسة أو في المجتمع، الأمر الذي يجعلهم يجتنبون مواقف التفاعل الاجتماعي في المجموعة ويميلون إلى مواقف الانعزال عن الجماعة والمجتمع بصفة عامة بحيث لا تتاح له فرصة التفاعل الاجتماعي والحصول على الخيرات الاجتماعية المختلفة لصورة سليمة. (حسين، 1986، ص 07)

6. خاتمة:

في الختام لا بد من القول بوجود منهج دراسي مناسب يسلم نفسه لمعلم التعليم المتخصص لفئة الأطفال المعوقين سمعيا، ليتم تدريسه بشكل مناسب لتلاميذه المعوقين سمعيا، فالمعلم عندما يُطالب بتنفيذ منهج ما مع تلاميذ صم، فإن ذلك يعني بداية أن يكون محتوى هذا المنهج متفقا مع احتياجات وميول هذه الفئة هذا كما أنّ هذا المحتوى لا بد أن يكون على درجة كبيرة من المرونة، ممّا يسمح للمعلم بحرية الحركة والتنوع بالقدر الذي يناسب تلاميذه، وعلى النحو الذي يتفق مع ما يوجد بينهم من فروق فردية.

إذن تكييف المناهج الدراسية الحالية المقررة للأطفال العاديين لفائدة نظرائهم من الأطفال المعوقين سمعياً يبقى عملاً بدون جدوى له طالما لم يتم إعادة النظر فيه تبعاً لما تم عرضه والإشارة إليه آنفاً في محتوى تقرير هذا البحث.

7. قائمة المراجع:

- إبراهيم عبد العزيز. (1994). إدارة المدرسة الابتدائية، (مصر: جامعة الإسكندرية)؛
أحمد حسين اللقاني، أمير القرشي. (1999). مناهج الصم-التخطيط والبناء والتنفيذ-،
(القاهرة: عالم الكتب)؛
بطرس حافظ(2000). القدرات النفسية اللغوية وعلاقتها ببعض جوانب النمو العقلي المعرفي وغير
المعرفي لدى أطفال مرحلة ما قبل المدرسة، مجلة الطفولة، العدد 02؛
الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية: العدد 05، الصادر في 29 جانفي، 2012.
جيمس م. كوفمان، و دانييل ب. هالمان. (2008). سيكولوجية الأطفال غير العاديين وتعليمهم
مقدمة في التربية الخاصة، (ترجمة عادل عبد الله محمد)، (ط 01)، (الأردن، عمان: دار الفكر)؛
حسين، محمد عبد المؤمن. (1986). سيكولوجية غير العاديين وتربيتهم، (الإسكندرية: دار الفكر
العربي)؛
القريطي عبد المطلب. (1996). سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم، (القاهرة: دار الفكر
العربي)؛
المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم. (ب س). وحدة النظام التربوي، سند تكويني
لفائدة مديري مؤسسات التعليم الثانوي والإكمالي.